الدور العلمي للطرطوشي ت ٥٢٠هـ/١١٢١م في تاريخ فلسفة العمران والسياسة من خلال كتاب سراج الملوك

المدرس الدكتور
محمد عايد مانع الحسيني
جامعة القادسية - كلية التربية

المقدمة

إن الحتمية التاريخية هي الأساس المنطقي والفلسفي الذي تقوم عليه المعرفة الموضوعية للتاريخ ولهذا نجد أن الدراسات التاريخية المتعمقة في البحث عن دور مفكري الإسلام وجهودهم في رفد الحركة العلمية ماهي إلا نتاج ضروري من ضروريات ألامه العربية الإسلامية التي أعطت القيمة الذاتية والأصيلة لدور المفكرين والقيمة التاريخية لكل منجز ، فالتاريخ ذاكرة الجنس البشري ومستودع تجاربه ولابد من احتواء التجربة الإنسانية على مجموعة من القوانين الثابتة التي تحدد لنا نمطية الأدوار البشرية وماهية المقاصد والروابط التي نسعى إلى إيجادها في الدور العلمي الذي أوجده أولئك المفكرين والعلماء .

ولعل القيمة الذاتية لكتابة هذا البحث تتأتى من استدراك دور الفقيه والمفكر الطرطوشي في تاريخ حركة الفكر الإسلامي سواء في العقيدة ام في الفلسفة ومحاولة إيجاد الإشكالية التي أوجدها في مسلكه الزهدي الصوفي الذي امتزجت فيه معالم الفكر والفلسفة العقلية لأننا نعلم ان لتاريخ الفكر الفلسفي وسائل وأدوات ووعي ومقاصد قد لاتلتقي مع المسلك الزهدي الذي سعى إليه الطرطوشي ولكننا نجده قد جمع بين هذين الفكرين بمحور عقيدي ربط فيه مفاهيم العقيدة بالتاريخ وقوانين النقد العقلي مع الانتماء الروحي للإنسان .

اشتمل البحث على ثلاثة محاور أساسيه ، احتوى المبحث الأول// على تقديم لحياة الطرطوشي ونشأته ومكانته الاجتماعية والعلمية وابرز شيوخه وتلاميذه واهم أثاره العلمية ، ثم أشرت إلى خبر وفاته ومدفنه في مدينة الإسكندرية . اما المحور الثاني // فقد تطرقت فيه الى رحلته في طلب العلم الى مدن متعددة مثل سرقسطة ومكة وبغداد

والشام ومصر وغيرها ودورة في اكتساب العلم وتعليمه في كل مدينة يصل إليها وإقامته للحلقات الدراسية وتبيان منهجه في العقيدة .

في حين أشرت في المحور الثالث// الى إسهامات الطرطوشي في فلسفة العمران والحضارة والسياسة وهي فلسفة اجتماعية وسياسية تضمنها كتابه سراج الملوك الذي احتوى على حكم بالغة ونصائح ذات عبرة لكل حاكم يتولى مسؤولية إدارة الدولة ، والى دور الحاكم في سياسة الرعية وموقف الرعية من الحاكم ، كما أشرت الى هدف الطرطوشي من عرض اراؤه السياسية مع منهاجه الفلسفي لأنه يربط بين نهوض الدولة وارتقاء اهلها وحاكمها وعمرانها بسياسة الحاكم تجاه الناس وبإجابة الرعية لسياسة الحاكم .

المحور الأول

التعريف بحياة ابي بكر الطرطوشي (١) .

أ / حياته ومكانته الاجتماعية والعلمية .

هو ابو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن ايوب القرشي الفهري الطرطوشي المعروف بابن ابي رندقة (٢).ولد في سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م في مدينة طرطوشة واليها ينسب وقد نشأ فيها وتثقف في مسجد طرطوشة الكبير وتلقى فيها علومه الأولى حتى اصبح فيما بعد من كبار ائمة المذهب المالكي خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين /الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين ، وقد عرف عنه الزهد والورع وابتعاده عن اهل الأهواء مقاطعا ذوي البدع راحلا في طلب العلم سائرا على نهج الأقدمين في استحصال العلم والمعرفة (٣).

اما عن نسبه فهو عربي الاصل ينتهي الى فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن نزار بن معد بن عدنان ، يقول ابن حزم عن هذا النسب :" وهم قريش لا قريش غيرهم ولا يكون قرشي الا منهم ولا من ولد فهر احدا الا قرشي ..." (٤) .

ومن الجدير بالإشارة هنا ان الفهريين او آل فهر في المغرب الإسلامي كان لهم دور واضح في حملة موسى بن نصير عامل الوليد بن عبد الملك على افريقية وقد أشاد الطرطوشي بدور اسرتة في توطين أركان الدين في الأندلس خاصة في سرقسطة (٥) .

وذكر استبسالهم في المرابطة بالثغور الشمالية (٦) ، والحقيقة ان المصادر قد أحجمت عن ذكر اخبار أسرته وحوالهم الاجتماعية اذ ان المصادر ذكرت نشأته في مدينة طرطوشة واخذه للعلم في البداية من علماء هذه المدينة مثل ابو الوليد الباجي (٧) الذي تعلم منه الفرائض والحساب ، ولهذا لم نعثر في المصادر عن أحوال أسرته الاجتماعية والعلمية الا رواية وردت في كتاب الطرطوشي (سراج الملوك) يتحدث عن احد أقربائه في مدينة سرقسطة ويتكلم عن شجاعته وانه كان من أخواله وكما ورد عنه :" كان بسرقسطة فارس يقال له ابن فتحون وكان يناسبني فيقع خال والدتي وكان أشجع العرب والعجم ... وكانت النصرانية بأسرها قد عرفت مكانته وهابت لقائه فيحكى ان الرومي كان اذا سقى فرسه فلم يشرب يقول له " اشرب هل ابن فتحون رأيت في الماء ..." (٨) .

والظاهر من النص اعلاه ان والدة الطرطوشي كانت من اسره ذات شأن في سرقسطة يمتهن رجالها فن الحرب والقتال اما والده فاسمه الوليد وذكرت المصادر انه يعرف بابن ابي رندقة فهل كانت ابي رندقة كنيه لابيه ومعناها كلمة فرنجية حسب ما ذكر ابن خلكان ، أي هل كان أبوه نصرانيا من اصل اسباني ؟ ولكن ما وصل الينا من معلومات ان نسبه ينتهي الى قريش ومن أصل عربي واضح (٩) ، اما عن مهنة والده فلا نعلم لها امرا لا في التجارة ولا في غيرها والا لنشأ الطرطوشي على عمل ابيه ولعل اباه كان من المشتغلين في العلم ولهذا وجه ابنه الى هذه الوجهه ولعل أسرته كانت جيدة الحال لانه حسب قول الطرطوشي﴿ كان أهله يكفونه مؤونة السعي وراء الرزق ﴾ ولهذا انشغل في العلم والرحيل في طلبه(١٠)

ب// شيوخه وتلاميذه .

ذكرنا سابقا ان ابي بكر الطرطوشي كان قد تلقى علومه الأولى في مسجد طرطوشة على يد الفقيه القاضي ابو الوليد الباجي ، وابو عبد الله الحميري (١١) اما مشايخه في العراق والشام والحجاز كان أهمهم ابو بكر الشاشي(١٢) ، وابو علي التستري (١٣) ،وابو عبد الله الدامغاني (١٤) ، وابي محمد رزق الله الحنبلي (١٥) ، وابي العباس احمد الجرجاني (١٦) ، وابن الصباغ(١٧) ، وابو سعد المتولي (١٨) ، وابي نصر الزينبي محدث اهل العراق وفقيهها (١٩) ، وابو سعد الزوزني (٢٠) .

كما وردت معلومة على ان الطرطوشي قد تتلمذ على يد ابن حزم الأندلسي وقد اوردها المقري بقوله :" ان الطرطوشي قرأ الأدب على يد ابي محمد بن حزم في مدينة اشبيلية " (٢١) . ومن الجدير بالملاحظة هنا انه لايمكن قبول رواية المقري لان ابن حزم توفي سنة ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م وعمر الطرطوشي في هذه السنة خمس سنين ولايعقل ان يرتحل الطرطوشي في هذه السن الصغيرة الى اشبيلية للتعلم على يد ابن حزم ليأخذ منه الادب والتفقه فيه .

اما عن ابرز تلامذة ابي بكر الطرطوشي فقد ورد في الأخبار الواردة ان هنالك عدد كبير قد تتلمذ على يديه ونبغ من بينهم رجال بارزون في العلم والاصلاح كان اهمهم سند بن عنان بن ابراهيم(٢٢) ، ابو طاهر المكي (٢٣) ، ابو بكر بن العربي(٢٤) ، المهدي بن تومرت (٢٥) وغيرهم كثير .

ج// وفاته ومدفنه وأثاره العلمية .

إن اغلب من اورد ذكر ترجمة الطرطوشي من المؤرخين اجمعوا على ان المنيه وافته في مدينة الإسكندرية سنة ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م وانه قد فن بالقرب من المسجد الذي يعرف بمسجد الشيخ الطرطوشي الذي سميّ تيمنا به وله مشهد يزار ، يقول المقريزي :" طلب الطرطوشي من الوزير المأمون (٢٦) انشاء مسجد جديد في الإسكندرية بظاهر الثغر على البحر فرحب الوزير بطلبة وكتب الى قاضي الإسكندرية يأمره بالاشراف على بناء المسجد في المكان الذي يتخيره الطرطوشي وان يبالغ في اتقانه وسرعة انجازه وان تكون النفقة عليه من مال ديوانه (الوزير)لا من مال الدولة " (٢٧) ، ولذلك فان مدفن الطرطوشي كان الى جوار هذا المسجد على حد قول المقريزي وهو قريب على منطقة المنشية حاليا في الإسكندرية على باب البحر وقد تلاشت معالم هذا المسجد وهدمت اثاره ويستدل عليه من خلال قرب الطرطوشي (٢٨) .

د// اثاره العلمية .

اما عن اهم أثاره العلمية فهي تتنوع مابين الفقه وفروعه والأصول والتفسير والحديث والسياسة الشرعية وفلسفة علم الكلام وطبيعة الحكم والبناء الاجتماعي وأراء تربوية اخرى وسأعرض هنا بعض اهم مؤلفات الطرطوشي وهي مايلي ..

١/ الكتاب الكبير في مسائل الخلاف او ((التعليقات الكبيرة في الخلافات)) وقد استوحى

الطرطوشي فكرة تاليف هذا الكتاب من شيخه ابو الوليد الباجي الذي علمه أصول مسائل الخلاف وهي اول العلوم التي تلقاها في بداية تعليمه في الاندلس (٢٩).

٢/ (كتاب مختصر تفسير الثعالبي) وهذا الكتاب من تأليف الطرطوشي وهو اختصار لكتاب تفسير الثعالبي ، ابي اسحق احمد بن محمد النيسابوري ت ٤٢٧هـ/١٠٣٥م وكان من اشهر التفاسير وقد اختصره الطرطوشي في كتل خاص ولخص معانيه (٣٠) .

٣/ (كتاب شرح رسالة ابي زيد القيرواني) وابو زيد هذا هو ابو محمد عبد الله بن ابي زيد من علماء المذهب المالكي في القرن الرابع الهجري ت ٣٨٩هـ/٩٩٨م ، وقد شرح الرسالة هذه ابي بكر الطرطوشي كونه من اتباع المذهب المالكي وعلمائه وقد استأثر الشرح بهذه الرسالة خدمة لمذهبه (٣١) .

٤/ (كتاب الاسرار) اشار فيه الطرطوشي الى نصوص فلسفية ومواضيع عقلية تدعوا الى تحكيم العقل في اتخاذ الأحكام وتبيان ماهية وحقيقة العقل وأقسامه (٣٢) .

٥/ (كتاب معارضة ابي حامد الغزالي ت٥٠٥هـ/١١١١م) وقد ذكر هذا الكتاب حاجي خليفة بقوله :" ومن بين كتب الطرطوشي كتاب يعارض به كتاب احياء علوم الدين للغزالي " (٣٣) .

٦/ (كتاب سراج الملوك) وهو من اهم كتب الطرطوشي جميعها وقد الفه وأتم كتابته في الإسكندرية سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م ،في عهد الوزير المأمون البطائحي وقد قسمه الى أربع وستين فصلا ابتدأه بوعظ الملوك وقام العلماء والصالحين ودور صاحب الحكم مع الرعية وحقوق الرعية على الحاكم وغيرها (٣٤) .

٧/ (كتاب الحوادث والبدع) (٣٥) .

٨/ (كتاب في بر الوالدين وكتاب في الفتن) .

٩/ (رسالة في تحريم الغناء واللهو على الصوفية) (٣٦) .

١٠ / (رسالة في تحريم جبن الروم)(٣٧) .

١١/ رسالة في اخلاق الرسول (صلى الله عليه واله) .

١٢/ (كتاب النهاية في فروع المالكية ونفائس الفنون)

١٣/ رسالة العدة عند الكرب والشدة ومنتخب من عيون خصائص العباد(٣٨).

المحور الثاني

السعي في طلب العلم وحلقاته الدراسية ومنهجه في العقيدة .

أ// رحلته في طلب العلم .

ورد في الإخبار ان العالم او الفقيه يعرف بشيوخه وبرحلته لطلب العلم وان الذي لم يرحل في طلب العلم لاحظّ له في الصداره ولذلك حرص الناس حرصا قديما على السفر طلبا للأسانيد العالية والإجازات من الراسخين ، والطرطوشي كان قد تلقى علومه الأولى في مسقط رأسه (طرطوشه) ولزم مشايخها في المسجد الكبير ومن ثم بات متجولا في البلاد باحثا عن ضالته في طلب العلم .

١ // رحلته الى سرقسطة .

كانت سرقسطة عاصمة الإقليم الشرقي للأندلس وقد عرفت رقيّا عظيما في ظل أمرائها من بني هود (٣٩)، خاصة في زمن المقتدر٢٩٥-٣٢٠هـ/٩٠٨-٩٣٢م الذي كان بلاطة عامرا باهل العلم حيث كان شغوفا بالفلسفة والفلك ولهذا كانت سرقسطة في هذا الوقت من حواضر العلم في الأندلس كما ان الطرطوشي قد وجد الملاذ الآمن بهذه المملكة فقد فرغ نفسه للدراسة وتعرف فيها على شيخ ائمة المالكية ابو الوليد الباجي الذي اخذ عنه أصول الفقه ومسائل الخلاف والفرائض بل انه ظل ملازما له ينهل من علومه ويتأثر بمنهجه الفكري الفقهي واتجاهه العقائدي الخاص بمذهب المالكية سنة ٤٧١هـ/ ١٠٧٨م (٤٠).

ومن الجدير بالذكر ان تاثير الباجي كان كبيرا على الطرطوشي وقد ارشدنا الى ذلك التناقض الفكري والعقائدي الذي لاحظناه في افكاره مع ابن حزم الأندلسي ولعل هذا الأمر جاء بسبب الخلاف بين ابو الوليد الباجي وابن حزم خصوصا اذا ماعرفنا ان الباجي كان يحسد ابن حزم الأندلسي على رتبة شيخ علماء الأندلس انذاك ولهذا فبعد وفاة ابن حزم سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٣م نال ابو الوليد الباجي لقب شيخ علماء الأندلس دون منازع وكانت تشد اليه رحال طلبة العلم لحضور حلقته الدراسية(٤١) . وعلى الأعم الأغلب كانت الثقافة العلمية التي نالها الطرطوشي في سرقسطة مبنية على أفكار أستاذه الباجي وهذا هو المسار الذي نهجه الطرطوشي لإثبات دوره العلمي في البداية .

٢// رحلته الى مكه .

في سنة ٤٧٦هـ/١٠٨٣م غادر الطرطوشي الأندلس متجها صوب المشرق ومبتدء بالحجاز طالبا للعلم ولزيارة بيت الله الحرام في زمن الخليفة العباسي المقتدي بامر الله٤٦٧-٤٨٧هـ/١٠٧٥-١٠٩٤م وكان الذي يقلق الطرطوشي وضعة المادي الصعب وخصوصا في الحجاز كونه لم يحسن صنعه او حرفة وقد ورد هذا الامر في قوله :" واما انا فلما هممت بالرحيل من بلدي الى المشرق في طلب العلم كنت لااعرف التجارة ولا لي حرفة ارجع اليها فجزعت من الخروج وكنت أقول اذا ذهبت نفقتي فماذا افعل ...وكان اقوى الآمال في نفسي ان أحفظ(احرس) البساتين بالأجرة وان ادرس العلم في الليل ثم استخرت الله فرحلت وكانت معي نفقه وافرة ..."(٤٢) . ولم تذكر المصادر اخبارا مفصله عن رحلته للحجاز سوى انه ادى فريضة الحج واخذ يلقي الدروس وقد اقام بمكة وجاور مسجدها وقد ورد ذلك عن احد معاصريه في الحجاز وهو الصدفي(٤٣) ، الذي ذكر مقابلته له في الحجاز وتدريسه لعلوم الحديث فيها وأضاف ايضا ان الطرطوشي لم يمكث طويلا في مكة بل استأنف رحلته واتجه الى بغداد(٤٤) .

٣// التوجه نحو بغداد .

كانت بغداد في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، مركزا علميا مهما في العالم الإسلامي وهي محط رحال طلبة العلم من كل حدب وصوب كما ان رجال الدولة كان لهم الدور في دعم الحركة العلمية وتأسيس المدارس والنفقة اللازمة عليها وعلى راسهم نظام الملك (٤٥).وقد اثنى الطرطوشي كثيرا على جهود هذا الوزير في رعاية العلماء والفقهاء ودوره في إنشاء المدارس وتأسيس الرباطات للعباد والزهاد وأهل الصلاح وإعطائهم الكساوى والنفقات ، ثم يشير الى منجزاته ودوره في تثبيت اركان الدولة داعيا له بالحفظ(٤٦) .وتشير المصادر الى ان الطرطوشي قد تلقى العلم على يد جملة من المشايخ في بغداد وخصوصا في المدرسة النظامية امثال ابي اسحق الشيرازي ت٥٠٩هـ/١١١٦م،والشيخ ابي بكر محمد بن احمد الشاشي ت٥٠٧هـ/١١١٤م، وابي حامد الغزالي ت٥٠٥هـ/١١١١م وغيرهم ونلاحظ هنا ان اغلب أولئك المشايخ هم من اتباع المذهب الشافعي في حين كان الطرطوشي كما اشرنا سابقا مالكي المذهب وهذا الأمر يدل على وحدة الموضوع وسمو الهدف وهو طلب العلم ولم يشكل

الاختلاف في المذهب عائقا ابدا بل كان التحاور والنقاش واعتماد الجدل هو دليل أولئك العلماء في اغلب حلقاتهم الدراسية خصوصا وان هذه الفترة مثلت عصرا متألقا وزاهيا من عصور بغداد العلمية والذي مثلته تحديدا المدرسه النظامية في ذلك العهد (٤٧) .

٤// رحلته الى الشام..

غادر الطرطوشي بغداد نهاية سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م وتوجه نحو الشام بعد ان بلغ مبلغا فكريا يؤهله للتدريس لينفع الناس بعلمه خصوصا بعد ان كون اتجاها فكريا فلسفيا لنفسه قوامه الزهد والسعي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولعل هذه الصفة بقيت ملازمة له منذ دخوله الشام والى اخر حياته (٤٨).

وقد كانت رحلته في طلب العلم في الشام ابتدأت ببيت المقدس ثم توجه بعدها الى دمشق وحلب وبعدها الى جبل لبنان وقد التقي كذلك بابي حامد الغزالي في بيت المقدس سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٧م وتناقشا في مسألة التصوف والعقل والفلسفة وأراء الفقهاء وأصحاب الملل (٤٩) .

٥// الى انطاكية (٥٠)..

توجه الطرطوشي من بلاد الشام وتحديدا من حلب الى انطاكية وقد روى ذلك في كتابه سراج الملوك فيقول :" كانت معي نفقه وافرة وضعتها على وسطي وكنت اسمع المسافرين يقولون : من نام في الليل وله نفقه على وسطه فليحلها فان اللصوص يبادرون الى أوساطكم ...، فخرجت من بلاد الشام الى إنطاكية وهي اذ ذاك حربا للروم فسرينا(سرنا) ليلتنا وأصبحنا في باب أنطاكية فأخذتني عيني وحللت وسطي ونمت ولم استيقظ الا ضحوة(ضحى) النهار فاستيقظت ومددت يدي الى وسطي فلم اجد المال فجعلت انظر للقافلة والتفت الى الناس ولم يبق لي حيلة فرفعت أمري الى الله واذا برجل من اهل القافلة يضحك لما رأى بي (رأني) فقال : مالك أيها الفقيه ؟ فقلت : خير فقال : خذ مالك وسألته كيف ظفر به فقال : رأسك قد تدحرج ذراعين وغيرت موضعك فرأيت سوادا في موضع نومك فأخذته وإذا كيسا فيه مالك فحفظته لك ..."(٥١) . وقد اورد الطرطوشي اخبارا عن وجوده في أنطاكية سنة ٤٩٠هـ/١٠٩٦م وأشار الى ان أنطاكية قد استولى عليها الروم ويقصد بهم الصليبيين لان الحملة الصليبية

الاولى وفدت الى الشرق سنة ٤٩٠هـ/ ١٠٩٦م واستولت على مدن الشام الواحدة بعد الأخرى وظلت تحاصر مدينة انطاكية نحو ثمانية أشهر الى ان سقطت في جمادي الاولى سنة ٤٩١هـ/ ١٠٩٧م ، وبرغم هذه الأوضاع في الشام وأنطاكية فان الطرطوشي استمر في منهاجه وكان يشغل وقته بالعبادة وذكر الله ومن ثم التدريس وتارة أخرى يجمع التلاميذ ويحاورهم في مسائل العقيدة والفقه ، والظاهر ان الأوضاع المرتبكة في أنطاكية وسواحل الشام كانت لاتساعد الطرطوشي على المكوث اكثر وهذا الامر دفعة الى المغادرة والتوجه نحو مصر (٥٢) .

٦// رحلته الى الاسكندرية ..

لقد كان لموقع الإسكندرية الجغرافي اثرا كبيرا في توثيق عرى العلاقات بينها وبين المغرب والأندلس لأنها ثغرا من الثغور الإسلامية الهامة ورباطا كبيرا منذ دخول المسلمين اليها لأول مرة ، وتجدر الإشارة الى ان صلة الإسكندرية بالمغرب كانت وثيقة منذ اتى الفاطميون٢٩٧-٥٦٧هـ/٩٠٩-١١٧١م بجيوشهم من المغرب وفتحوا مصر واتخذوها مقرا للخلافة ، ورغم ان المذهب الرسمي للدولة في العصر الفاطمي هو المذهب الشيعي الا ان الإسكندرية كانت تعيش حالة رائعة من التآلف بين مذهب السنة والشيعة بدليل انتشار مذهب المالكية بصورة كبيرة في الإسكندرية ولهذا نرى ان الطرطوشي قد وجد المكان المناسب والمذهب المناسب كونه مالكي المذهب ولهذا قرر الاستقرار فيها (٥٣).

وتشير الأخبار الواردة في المصادر ان الطرطوشي رحل الى مصر مع احد المشايخ العابدين الزهاد وهو الشيخ عبد الله السايح الذي قدم معه من الشام وعند وصولهم الإسكندرية كانت هذه المدينة تعاني من صراع مرير وازمات كبرى كانتشار الوباء بسبب فيضان نهر النيل وتدهور اقتصادي وتردي في احوال الناس ناهيك عن ظهور الفتنة بين اولاد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي٤٢٧-٤٨٧هـ/١٠٣٦-١٠٩٤م بين كل من احمد ونزار وانقسام الاسماعيليين الفاطمية الى نزارية(نسبة الى نزار بن المستنصر) ومستعلية (نسبة الى احمد بن المستنصرالذي لقب بالمستعلي بالله) كل هذه الأمور أدت الى نتائج سلبية على هذه المدينة التي شهدت تراجعا في الحركة العلمية لهذه الاسباب، ولهذا عندما احس أهلها بوصول الفقيه الطرطوشي الى مصر بادروا بتشكيل وفدا من أعيانهم

وفقهائهم وتوجهوا نحو الطرطوشي وصاحبه الشيخ عبد الله السايح وقد استمعا الى مطلب اعيان الوفد وما وصلت اليه المدينة من تردي الحال وتراجع أحوال العلم ووافق على رغبتهم بانتقاله مع صاحبه الشيخ السايح الى الإسكندرية(٥٤).

وذكر ابن فرحون هذا الخبر في قوله :" واشتمل اهل الإسكندرية على الحافظ ابي بكر(الطرطوشي) وقعد للتدريس ونفع الله به كل من قرأ علية وانتشر علمه ... واستقر في الإسكندرية واتخذها وطنا ثانيا ..

والقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالاياب المسافر"(٥٥) . وقد بدأ الطرطوشي يدرس وينشر العلم وفق مذهب الإمام مالك وتقاطر عليه الناس في حلقاته يأخذون عنه ويقرأوون ويفيدون من علمه ، وبعدها تزوج الطرطوشي من سيدة موسرة (غنية) من نساء الاسكندرية فاطلقت يده في اموالها وتحسنت احواله ووهبته دارا من أملاكها بحيث جعل سكنه معها في الدور الأعلى واتخذ من الدور الاسفل مدرسة يلقي فيها دروسه ويستضيف فيها طلاب العلم الغرباء الوافدين على الإسكندرية (٥٦) .

كما وتذكر الأخبار ان الطرطوشي دخل في خلاف مع قاضي الإسكندرية ابن حديد حيث قام الاخير برفع شكوى على الطرطوشي الى الوزير الافضل شاهنشاة بن بدر الجمالي الذي قام بدورة باستدعاء الطرطوشي وفرض عليه البقاء في الفسطاط وحدد إقامته في مسجد جنوب الفسطاط ومنع الناس من الاتصال به وحدد له راتبا شهريا ولم يطلق سراحه الا بعد مقتل الأفضل سنة ٥١٥هـ/ ١١٢١م وتولى الوزارة بعده المأمون البطائحي الذي افرج عن الطرطوشي واكرمه وقربه وأرجعه الى حياة العلم والعبادة وهنا بادر ابي بكر الطرطوشي بتأليف كتابة سراج الملوك الذي شّمله فن السياسة والحكم وشروط الراع والرعية والذي اهداه فيما بعد الى الوزير المأمون البطائحي ليستدل به في فن سياسة الحكم وإصلاح وضع البلاد (٥٧) .

ب// حلقاته الدراسية ومنهاجه في العقيدة .

ماورد من اخبار عن حلقات الطرطوشي الدراسية هي أخبار وردت على الأغلب في رحلاته العلمية التي قام بها منذ دخوله الى مكة وانتهائه بمدينة الإسكندرية ، فقد ذُكر ان للطرطوشي حلقة دراسية في مكة المكرمة بعد عام ٤٧٧هـ/ ١٠٨٥م وذلك بعد استقراره في مكه واداء فريضة الحج حيث القى بعض الدروس في شرح القران

الكريم وتفسيره ورواية الأحاديث النبوية الشريفة وشروحها وعرض أخبار الصالحين من الزهاد والمتصوفة والعُباد وقد اشار الى ذلك القاضي محمد بن فرو الصدفي في قوله :" صحبته عند الباجي (يقصد ابو الوليد الباجي) ولقيته بمكة وأخذت عنه اكثر السنن لابي داوود التستري ..."(٥٨) .

وتجدر الاشارة الى هذه الحلقة الدراسية بانها الحلقة الوحيدة التي أشارت اليها المصادر في مكه تحديدا كونه لم يمكث في الحجاز طويلا بل استأنف رحلته الى بغداد حيث استطاع هناك ان يركز اكثر في ميدان الاكتساب العلمي كون بغداد انذاك مركزا علميا مرموقا في العالم العربي والإسلامي حيث توجه للدراسة في المدرسة النظامية على يد ابن الصباغ الشافعي وابي بكر الشاشي وغيرهم (٥٩) . اما في الشام فقد دخلها وهو قد تهيأ للتدريس خصوصا بعد مرحلة النضج الفكري التي اكتسبها في بغداد وتحديدا بعد ان هيأ لنفسه فلسفة خاصه قوامها الزهد والعبادة والسعي الى خير الأمور وصالحها ونبذ المنكرات وما شابهها ، وتشير الأخبار التي ذكرت فترة بقائه في الشام انه بدأ بتنظيم الحلقات الدراسية الخاصة بعلم الكلام والفقه فاقبل عليه الناس واحبوه وأفادوا من علمه خصوصا بعد ان ذاع صيته ومسعى اهل الحكم والسلطان الى كسب رضاه وبره لكنه كان ينصرف عنهم مبديا لهم النصح (٦٠) .

يذكر ابن فرحون :" ان الطرطوشي لازم الشام مدة ودرسّ بها ولازم الانقباض والجماعة وبَعُد صيته هناك واخذ عنه الناس علما كثيرا فقد كان اماماً عالما زاهدا له العزلة والخلوة والرياضة والمجاهدة في تزكية النفس والاخلاق .."(٦١) . اما في مدينة الإسكندرية التي وصل اليها الطرطوشي سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٤م والتي اتخذها مقرا له فقد قام هناك بالتدريس ونشر علمة على مذهب المالكية وتقاطر الناس على حلقاته الدراسية يأخذون عنه ويقرأوون عليه ويفيدون من علمه وقد اشار الطرطوشي الى ذلك بقوله :"طاب لي المقام في الإسكندرية فعقدت العزم الى الدرس ونشر العلم ..." (٦٢).

كما نلاحظ ان الطرطوشي وبعد استقراره في الإسكندرية وزواجه فانه بادر بجعل دارة مدرسة لنشر العلم واستضافة الطلبة الوافدين فقد كان يستيقظ منذ مطلع الفجر وينزل الى المدرسة ويصلي الصبح ويبدأ بالدروس ويعلم الناس الفقه والحديث ومسائل الخلاف (٦٣) . ومما يروى عن حلقات الدرس للطرطوشي في الإسكندرية هو

اتباعه طريقة محببه في التدريس جعلت قلوب تلاميذه تتعلق به وتستأنس معه فهو لم يكتفِ بما عقده من حلقات دراسية في بيته او في المسجد بل كان يصطحبهم في رحلات الى البساتين والاراضي الزراعية ليلقي دروسه هناك ويذكرهم بما حفظوه ودرسوه ومما يذكر عن بعض طلبته انه قد بلغ عدد الطلبة المرافقين له في هذه الدروس اكثر من ثلاثمائه وستين ولعل العدد المذكور اراد به الراوي ان يشير الى كثرة من يحضر درسه لاننا لم نعثر على هذا العدد من الطلبة عند الطرطوشي (٦٤).

(منهاجه في العقيدة) . سأوضحها في اتجاهين

الاتجاه الاول//اشتهر الطرطوشي من بين علماء الأندلس بالعلم وبالرد على المبتدعات في الدين وهو من علماء المالكية الذين يشار اليهم بالبنان ويؤخذ علمهم وقد وصفته المصادر بأنه من أهل العقيدة والفقه والأصول خصوصا بعد ان نال الإمامة فلازم بعدها الزهد والقناعة والعبادة بعد ان ذاع صيته (٦٥). والظاهر ان عقيدة الطرطوشي كانت صريحة ومفهومة للجميع لانه كان من اتباع المذهب المالكي وانه صرح باكثر من موضع في كتابة حول هذا الامر ولهذا كان يخالف بعض المذاهب الإسلامية بميله للمالكية برغم انه لم يبدِ لهذه القضية إصرارا لكننا لمسنا في بعض تعليقاته تحيزا لمذهبه خصوصا عند دخوله لمصر وكما نعلم فان مصر في هذا العهد تتبع المذهب الاسماعيلي الفاطمي ، او عندما أشار الى اساتذة المدرسة النظامية في بغداد بقوله :" وهم من الشافعية والبعض الاخر من الحنابله.."(٦٦) ، وبرغم تحيز الطرطوشي الى مذهبه فقد وجدناه يفضل السكن والاستقرار في مصر برغم ان مذهب الدولة الرسمي (المذهب الفاطمي) لكنه فضل المكوث في الإسكندرية كونها لاتزال تدين بمذهب الإمام مالك وكونه على خلاف عقائدي مع الفاطميين كقوله :" إن سألني الله تعالى عن المقام في الاسكندرية لما كانت عليه الشيعة (العبيدية الفاطمية) من ترك اقامة الجمعة ومن غير ذلك من المناكر التي كانت في ايامهم ..."(٦٧) .

الاتجاة الثاني // غلب الاتجاة الصوفي الزهدي على عقيدة الطرطوشي فهو وفي اكثر من مرة يشير الى التفقه في الدين خير من السعي الى ملذات الحياة لانها نعيم زائل ولهذا فقد لازم التقشف والعبادة منذ وصوله الى بغداد حتى اعتبره بعض من كتب عنه بانه من المتصوفة الزاهدين ، وتجدر الإشارة الى انه دون هذا الاتجاه في كتابه سراج الملوك

مادحا شيوخه العراقيين الذين جعلوه يتجه بهذا المسعى ذاكرا اشعارهم الصوفيه فهو يقول :" انشدني شيخي ابو العباس الجرجاني في البصرة

بـالله ربـك كـم قصـرا مـررت بـه قـد كـان يعمـر باللـذات والطـرب

طـارت عقـاب المنايـا في جوانبـه فصـاح مـن بعـده بالويـل والحـرب

وقوله ايضا

ايهـا الرافـع البنـاء رويـدا لـن تـذود المنـون عنـك المبـاني

ان هـذا البنـاء يبقـى وتفنـى كل شيء ابقى من الانسانِ (٦٨)

كما ان الطرطوشي اورد حديثا مع احد العلماء في العراق لايذكر اسمه ولكن يشير في حديثه الى قضية ترك ملذات الدنيا ومحاولة لفت نظر الناس الى الجهد الروحاني لفهم مسائل الدين وترويض النفس كما جاء في قوله :" إن امرا اصابني طيّش عقلي وبلبل فكري ... وذلك اني كنت يوما بالعراق وانا اشرب ماء فقال لي صاحب لي : يفلان لعل هذا الكوز الذي تشرب منه الماء قد كان انسانا يوما فمات فصار ترابا ومن ثم اخذ التراب وضرب خزفا وشواه بالنار وصار انيه ويستخدم بعد ان كان بشرا ..."(٦٩) .

هذه النظره التي بدأت تتوقد في فكر الطرطوشي قادته الى التوغل في حقيقة الإنسان ومصيره والى ماهيه فلسفية عميقة في مسألة الخلق كقوله :" فأن الإنسان اذا مات عاد ترابا كما كان في النشأة الأولى ، ثم قد يتفق ان يحفر لحده ويعجن بالماء ترابه ...فيتخذ منه انيه تمتهن بالبيوت او لبنه تبني الجدار او يجوز ان تغرس عند قبره شجرة فيستحيل تراب الإنسان شجرة وورقا وثمره فترعى البهائم أوراقها ويأكل الإنسان ثمرها...فبينما كان يقتات صار قوتا ثم يعود في بطن الانسان رجيعا فيقذف في بيت الرحاضة او ينبذ في العراء ويجوز اذا صغر قبره ان تسفي الرياح ترابه فتتفرق اجزاؤه في الوهاد والأودية ..."(٧٠) .

هذا الحديث الذي خاضة الطرطوشي مع مجموعة من العلماء في بغداد وبهذا التعليق راح يحلل ماهية الانسان والوجود والذات الإنسانية وصفة التحول بعد الموت وصفة التجدد بعد الموت وخروج الميت من الحي وانبثاق الحي من الميت تطبيقا لقوله

تعالى ((يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحي الأرض بعد موتها وكذلك يخرجون)) (٧١) .

وبهذه الرؤية الفلسفية الزهدية انطلق الطرطوشي مفكرا ومحللا عارضا الاحتمالات الممكنة التي قد ينتهي اليها الانسان بعد موته وبدأ هنا يكون لنفسه فلسفة خاصة اعتنقها منذ ذلك الحين وبلور حياته مع هذه الفلسفة فلسفة الزهد والعزوف عن الشهوات والبعد عن مباهج الدنيا فهو يقول :" اليس في هذا مااذهل العقول وطيش الحلول ومنع الملذات وهان عند مفارقه الاهل والمال واللحوق بقلل الجبال والأُنس بالوحوش حتى ياتي امر الله " (٧٢) . وقد استمر الطرطوشي بهذا المنهج منذ مغادرته للعراق نهاية سنة ٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م وانتقاله الى الشام وبعدها الى الاسكندرية حيث عرف هناك بالشيخ الامام والصالح والزاهد والمتصوف لانه يسعى مسعى اهل التقشف واهل الزهد والتصوف وكان يبتعد عن أصحاب الحكم والسلطان رغم نصحه المستمر لهم وابداء رأيه بان الحكم زائل وستسألون عما فعلتم باحوال الأرض والرعية وعند ذاك ويلكم من غضب الجبار(٧٣) .

المحور الثالث// اسهاماته في تاريخ فلسفة العمران والسياسة ..

أ // فلسفة العمران الحضري عنده ..

اشرنا فيما سبق ان الطرطوشي قد اتجه في منهاجه العلمي الذي ابتدأ به من الأندلس حتى استقراره في الإسكندرية الى اعطاء رؤية لكل موضوع يهم بدراسته ولايقتصر الامر على تفقهه في امور الشريعة والاحكام الدينية فحسب وانما كانت له مشاركات في ميدان الفلسفة والحضارة وقد لاحظنا انه قد اتجه اتجاها زهديا فلسفيا اثناء وجوده في بغداد وانه بدأ يسجل ملاحظاته على كل دولة قام بزيارتها من خلال وضع الحكم القائم وماهية السكان وعمران الدولة وسياستها ، هذه الأمور وغيرها دفعته الى ان يفسر ويعطي أفكارا هي اشبه بالنصح والإرشاد لكل حاكم كيف يسوس رعيته وكيف يهتم بدولته ولهذا فقد شرح ابي بكر الطرطوشي حركة التاريخ معتمدا على السياسة المقترنة بالأخلاق بعد ان ادرك العلاقة السببية بين الظاهرة الاجتماعية والواقع السياسي ومايكتنف حركة التاريخ من دوافع انسانية تعتمد الرأي القائل :" العدل اساس كل مملكة سواء كانت نبويه ام اصلاحية "(٧٤) . مشيرا الى ضرورة وجود السلطان ذي

الخصال الحميدة المفضية الى التقدم اما العيوب الجسيمة فتؤدي الى ضياع الملك وانحطاط الحضارة وانحلالها كقوله :" اذا اختل امر السلطان دخل الفساد في المجتمع " (٧٥) ، ولذلك ننظر الى فلسفة الطرطوشي الحضارية بانها دعوه لإصلاح الأنظمة الحاكمة لانه اكد ولاكثر من مره :" بان لاسلطان يقوم الا بجند ولاجند يدوم الا بمال ولا مال الا بجباية ولاجباية الا بعمارة ولا عمارة الا بعدل فصار العدل أساس لسائر السياسات وبه تتحقق العدالة بين الناس ..."(٧٦) .

ولبيان الدور الاجتماعي للحاكم مثّل الطرطوشي اهمية السلطان بدوره الكبير في اثبات العدالة ومايفرضه هذا الدور من وعي لقيمة الاعتدال وحفظ النظام ، فبالنظام يكون كبير الرعية اباً ووسطهم اخاً واصغرهم ابناً والمجتمع لاينهض الا على ارحم الآباء واكرم الاخوه وانجب الأبناء وحب الجميع للخير والتراحم ، وبمنطقه العمراني هذا جعل العدل والرحمه اساس الملك وسر الحضارة والتاريخ سيكون الشاهد على حسن الفعل وتحريكة للتاريخ نحو الرقي ومهما تغيرت الاحول :" فلا بقاء الا للصالح ولا مجابهه للدهر الا بالصبر ولاهلاك الا بالحرص والبطر..." (٧٧) .

وفكرة العدل التي نادى بها الطرطوشي كانت هي الاساس لاستقامة امر السلطان وازدهار العمران ويمكن تقسيم اسس العمران الحضري عنده الى مايلي ..

اولا // فلسفة العمران والحضارة تقوم على

١/ لاعمران الا باتحاد وتعاون واعتدال للعام والخاص .

٢/ لافعل حضاري الا بحضور مقوماته (الدين والاخلاق والضمير والشجاعة والصدق) .

٣/ لا ابداع في العمران الا بحرية الفعل واصلاح الخلل ومعالجة العيوب (٧٨) .

ووفق هذه الاسس والشروط يكون التقدم والرقيّ ويستقيم امر السلطان والمجتمع والدولة وينبغي ان يلام كل إنسان لايستجيب لدواع العمران ومنافعه كماورد في قول الطرطوشي :" وفي هدى هذه المقاييس حُلل(الحل) أسباب التقدم والتخلف والنصر والهزيمة ..."(٧٩) . وهو يستشهد بأمثلة عن النبي محمد (صلى الله عليه واله) وعن الصحابة وأعمالهم فقد اورد حديثا عن الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) لكميل يقول له :" كفى بالتجارب تأدبا وبتقلب الأيام عبره "(٨٠) . في محاولة من

الطرطوشي لكي يوجه الحكام الذي عاصرهم الى سياسة وأعمال السابقين من بناة ألامه .

ثانيا // حكمة التاريخ .

هنا اورد الطرطوشي نوعا من المقايسة في الأحداث التاريخية لخصها بعد تامل ماجرى في مصر من احداث اثناء العهد الفاطمي محاولا ان يقيس هذا النموذج التاريخي ومرحلته مشيرا الى دروس الماضي باحسنها وبمرها فانها نافعة لذوي الألباب ، ولهذا نجده يشير الى ان زمان التاريخ تغير ومع هذا التغير سيتغير العمران والحضارة والسلطان والرعية كما جاء في حديثة :" ان الزمان وعاء لأهله ورأس الوعاء اطيب من أسفله ...فان قلت ان الملوك اليوم ليسوا كمن مضى فالرعية ليست كالرعية التي مضت ...لتبدل الظروف والأحوال والنفوس والقلوب " (٨١) .

ب// اراؤه السياسية من خلال كتابه (سراج الملوك) ...

إن الآراء السياسية للطرطوشي لاتقل اهمية عن المؤلفات السياسية التي اشتهرت في تاريخ الفكر السياسي الاسلامي والتي توثق مرحلة تاريخية مهمة من مراحل تطور ذلك الفكر خصوصا وانها تعكس وجها سياسيا للعلاقة الجدلية بين الوجود السياسي للمفكر او الفقية وبين التنظير السياسي لذلك الوجود ، وقد اشرت سابقا الى ان الاراء السياسية التي دونها الطرطوشي كانت على اثر مالاقاه في رحلته الى مصر من احكاما جائرة تعرض لها من الوزير الفاطمي الأفضل ولهذا فبعد عودته الى الإسكندرية الف هذا الكتاب الذي اورد فيه صورة فن الحكم ومايجب ان يكون عليه الراع والرعية وقد اتم كتابته سنة ٥١٦هـ/ ١١٢٢م وقدمه للوزير الجديد المأمون البطائحي (٨٢) .

قسم الطرطوشي كتابه الى اربع وستون بابا بدأها بتقرير المبدأ الخلقي ذكر فيه احكام القرآن والسنة النبوية وسيرة الأنبياء والخلفاء وسير الملوك والحكماء السابقين من الهند والروم والفرس ، وقد اشار في الباب الأول الى مواعظ الملوك ثم ذكر في الأبواب الاخرى من كتابه مقامات العلماء والصالحين عند الامراء والسلاطين وماجاء في حق الولاة والقضاة وفضلهم في معرفة منافع السلطان ومضارة وحاله مع الرعية والحكمة من وجوده وخصال السلطان وماهيته وحاجته للعلم والمعرفة والعقل والدهاء ، كما اشار ايضا الى ضرورة ان يكون السلطان ملما عارفا بصفات الوزراء والجلساء وآدابهم

وتطرق الى موضوع المشاورة والنصح والجود والسخاء والشح والبخل وكتمان السر وبيان السيرة التي يصلح عليها الامير والمأمور (٨٣).

واكمل نصائحة للحاكم في معرفة الخصال الموجبة لذم الرعية والخصلة التي تصلح الرعية وفي سيرة السلطان مع الجند والخراج وبيت المال ومهارة السلطان في تدوين الدواوين وفرض الأرزاق وأحكام اهل الذمة ومعرفته بتدابير الحروب واختتم كتابه هذا بجمله من الحكم التي لم يخرج فيها الطرطوشي عن منهاج الوعظ والإرشاد ونصح الملوك (٨٤) .

والحقيقة ان سراج الملوك هو محاولة في الفلسفة السياسية اشتمل على مسائل السياسة الشرعية وقضايا الحكم في الإسلام وفلسفة الاجتماع البشري ورسم هرم السلطة فالطرطوشي يقول :" ان كتاب سراج الملوك والخلفاء ومناهج الولاة والأمراء وتدبير الملك مقتضب من كتاب الله العزيز وأخبار الأنبياء (عليهم السلام) وسياسات ملوك العرب والعجم والروم والفرس والهند والسندهند ومستحسن أخلاقهم وأخبارهم ونوادر كتبهم وكتابهم وتواقيع رؤسائهم (٨٥) . والظاهر ان عمله هذا يقوم على الجمع والرصد وقلما يهتم بالتحليل والاستنتاج ولهذا فهو لايرقى وفق هذا الشرح الى صياغة نظرية سياسية متكاملة متعلقة بمسالة السلطان والدولة وانما فقط ترسم بعض ملامحها الأساسية والجوهرية ولهذا فان سراج الملوك له قواعد ملزمة لتحديد السلطة وضبطها لكي تنهج بتصرفاتها نهجا عادلا يفضي الى مراعاة دور الحاكم والرعية (٨٦) ، والذي يلفت الانتباه ان الطرطوشي قد قسم أنواع الأحكام الى قسم عام وقسم خاص وقد اشار اليها في مقدمة كتابه بقوله :" اما بعد فانني لما نظرت في سير الأمم الماضية والملوك الخالية وماوصفوه من السياسات في تدبيرالدول والتزموه من القوانين في حفظ النِحل فوجدت ذلك على نوعين أحكاما وسياسات ..." (٨٧) ، ويقصد هنا بالأحكام مواضيع الحلال والحرام والنكاح والبيوع ونحوها وهي من موضوعات القانون الخاص اما اصطلاح السياسات فيشمل موضوع القانون العام ومن ذلك الأسس النظرية التي تبنى عليها الدولة ونظام الملك ومافيه من التزام وشروط ويمكن ان نلخص هنا آراؤه السياسية بمايلي ...

أ // اقامة السلطان من ضرورات المجتمع ..

إن فلسفة الطرطوشي السياسية اعتبرت اقامة السلطان هو الوازع السياسي في الأرض وهو ضرورة لقيام المجتمع البشري ومضمون رؤيته تقوم على اساس حاجة البشر الى الاجتماع وحاجتهم الى وازع سياسي يسوسهم ويدير شؤونهم وفق السنن الكونية وبمقتضى التشريع الالهي وهذا الأمر يعد امرا تعبديا رغب فيه الطرطوشي من اجل اقامة السلطان ولان في صلاحه صلاح العباد والبلاد وفي فساده فساد البلاد والعباد ولهذا وحتى يستقيم مسار السلطان يشير الطرطوشي الى إقامة ميزان القسط الذي شرعّه رب العالمين وركوب سبيل العدل والحق واظهار شرائع الدين ولهذا فانه يعتبر إقامة السلطان في الأرض حكمة إلهيه وانها منّه عظيمة ونعمة لإقامة الدين وحفظ المجتمع ونبذ الخصومة والنزاع وصيانة القيم (٨٨) .

ب// الطاعة السياسية طاعة مطلقة ..

الطاعة من اهم واجبات الرعية تجاه حاكمها والطاعة في سراج الملوك ترتفع الى مستوى الفرض يقول الطرطوشي :" طاعة السلطان فرض على الرعية " ولهذا فالطاعة الواردة في مفهوم الطرطوشي لن تكون في جوهرها الا مطلقة غير مقيدة بشرط وهذا الإقرار الذي بثة الطرطوسي يعني من جهة اخرى سلب حق الرعية في الاعتراض ولهذا فاننا نجده وبعد تأكيده على مسالة الطاعة يضع مبررا لها عندما أشار الى ان الطاعة تكون في ضرورة الخضوع لعمل السلطان ، ومهما يكن من امر فموضوع الطاعة عند الطرطوشي يدور بين الترغيب في الطاعة والحذر من المعصية (٨٩) .

ج// ضرورة وجود السلطان

اشار كتاب سراج الملوك الى ان الملك او السلطان ضرورة وجودية وبدونه يختل النظام الاجتماعي في الدولة فالحاكم هو بمثابة رأس الهرم القيادي في الدولة ولهذا يعتقد الطرطوشي ان وجود السلطان هو نعمه إلهيه في الارض يدفع فيه عن الضعيف وينصف المظلوم ولهذا فان أي خلل يصيب السلطان فسيدخل الفساد الى المجتمع وبالتالي مرض جميع أركان الدولة (٩٠) .

د // العدل والعقل قِوام الدولة ..

يقول الطروشي :" إن العدل هو قِوام الملك ودوام الدول واساس كل مملكة سواء كانت نبوية او إصلاحية وهو ميزان الله في الارض الذي يؤخذ به للضعيف من القوي

وللمحق من المبطل وليس موضع الميزان بين الرعية فقط بل بين السلطان والرعية ايضا فمن ازال ميزان الله الذي وضعه من القيام بالقسط فقد تعرض لسخط الله ..." (٩١) .

وتجدر الإشارة الى ان الطرطوشي قسم مبدأ العدل الى قسمين الاول يسميه العدل الإلهي الذي مثله الرسل والأنبياء والثاني مامؤداه السياسة الإصلاحية التي هرم عليها الكبير ونشأ عليها الصغير وهذا الأمر يعني ان معيار العدالة الذي صرح به الطرطوشي يحوي فكرة الإصلاح وكيفية توجيه هذا الإصلاح والذي اراد به الطرطوشي إصلاح الدين ولا يستقيم هذا الإصلاح الا بصلاح الزمان وصلاح الزمان يقوم على صلاح السلطان وصلاح السلطان يقوم بالعدل والتدبير والإرشاد (٩٢) . اما عن معيار العقل فيقول الطروطشي :" مثلما يحتاج السلطان للعلم فانه يحتاج الى العقل لانتظام شؤون الملك ومعرفة مالم يكن بما قد كان ..." والعقل عند الطرطوشي نوعان هو العقل الغريزي الذي فُطر عليه الانسان والذي ينمو ويزدهر بالتجارب ، والعقل المكتسب وهو نتيجة العقل الغريزي وهو يصب في محور المعرفة ولهذا ينبغي على السلطان ان يحكّم عقله في مجربات الأمور وان يصبر قبل إطلاق الحكم لان الصبر منقذ من الفتن وهو حكم من أحكام العقل (٩٣).

ملخص البحث

يمكننا ان نستعرض ابرز النتائج التي وصلنا اليها في البحث وهي كما يلي .

(أ) كما نعلم ان الطرطوشي تلقى علومه الاولى في مدينة طرطوشة ومسجدها على يد الفقيه القاضي ابو الوليد الباجي وتعلم منه أصول الفقه المالكي وهذا ماجعله مقلدا لشيخه الباجي في كل شيء في تطبيق المذهب او السعي الى نشره او في اعتناق النزعة الزهدية الصوفية التي طبقها في منهجه الفكري العام .

(ب) اوجد الطرطوشي تناقضا في المنهج الفكري والعقائدي مع ابن حزم الأندلسي ولعل هذا التناقض كان بسبب خلاف الشيخ ابو الوليد الباجي (أستاذ الطرطوشي)وبين ابن حزم على رتبة شيخ علماء الأندلس لان الباجي كان يحسد ابن حزم على هذه الرتبة ، فلما مات ابن حزم آلت الرتبة الى ابو الوليد الباجي الذي تولى فورا طرح حلقات معارضه لفكر ابن حزم وهذا ما انعكس على فكر الطرطوشي أصلا كونه مقلدا لأستاذه .

(ج) تلقى الطرطوشي علومه في بغداد على يد جمله من علماء الشافعية مثل الغزالي وابي اسحق الشيرازي وغيرهم مع العلم انه كان مالكي المذهب ولا يتوافق معهم في بعض النواحِ في العقيدة والفكر ولكن هذا الأمر لم يشكل عائقا أمام وحدة الهدف وسمو الموضوع الفكرة والموضوع في الدراسة لأنه كان يهدف الى الحوار والجدل خصوصا وان بغداد كانت تعيش زهو الارتقاء العلمي انذاك .

(د) لم يبدِ الطرطوشي معارضة واضحة للمذاهب الإسلامية فيما عدا المذهب الفاطمي الاسماعيلي في مصر فقد عارضة في مواضيع متعددة وخصوصا في موضوع تركهم لصلاة الجمعة كما يعتقد هو وفي موضوع الأصول والفروع في الدين ، ولذلك فانه عندما وصل الى مصر نراه فضل المكوث في الإسكندرية على غير مكان كونها تتبع المذهب المالكي ، وهذا ماجعل المؤرخين يعتقدون ان الطرطوشي قد انكر فضل اهل مصر الفاطمية الذين استقبلوه بكل طوائفهم محترمين لمذهبه وعقيدته الا انه برغم كل ذلك يحشد الناس على الفاطميين ويرفض مذهبهم وعقيدتهم ويصفهم ببطلان الأمور وما شابهها .

(هـ) لم يقتصر الطرطوشي في تقديمه العلمي لمؤلفاته على المقولات والمفاهيم المجردة بل حاول ربطها بالتاريخ من حيث ان التاريخ حركة وتحول مستمر لمجمل الأحداث معلقا وشارحا ذلك في فلسفة العمران عنده .

(و) في تفسيره للعمران نراه يقبل بالحتمية العلمية والاجتماعية للتاريخ ولهذا وجدناه يفسر هرم الدولة وزوالها بعوامل نفسية واجتماعية واقتصادية كالترف وفساد الحاكم وضياع العصبية القبلية وهدر الثروة .

(ز) إن كل الآراء السياسية التي طرحها الطرطوشي في سراج الملوك كانت محاوله منه في الفلسفة السياسية اعتمدت على الجمع والرصد وقلما اهتمت بالتحليل والاستنتاج ولهذا فأنه برغم كل أرائه هذه فانه لايرتقي الى وضع نظرية سياسية بموضوع السلطان والدولة وانما فقط يرسم ملامحها العامة .

Abstract

Tartushi is considered one of the pioneers of intellectual renaissance in the fifth century who influenced the Islamic intellectual and scientific

output, including his achievements at the level of philosophy and jurisprudence and the Islamic faith

Especially when it went in to his demand for scientific correct path, the United States and the policy of the rulers towards our sons of the people, summed up in his book ((suraj al molok)) which contained the wisdom, advice and account for each governor is trying to reform his country And to seek justice and reform the overall trends in the state, because this is a reform of the state and the people will lead to prosperity and progress and prosperity.

In fact, we should not forget the role of scientific of ((Trtoshi)) this role, which was started by his hometown (Tortosa) and then going to the (Zaragoza) and then to the Orient to (Mecca) and (Iraq) and (Sham) and (Egypt), the information gained from many during his meeting with a large number of scientists and to benefit from their research and experiences in the field of philosophy and religion.

Has been able to put many books in doctrine and messages in building civilizations and the policy of the rulers has reached us of his works for more than thirteen books in the doctrines and debates and Conditions Like a book (al asrar al kabeer) and book (siraj al molok) and (aklak al rasol) and (al hawadeth and bedaa) and other literature .

هوامش والتعليقات

(١) طرطوشه مدينة كبيرة من مدن الاندلس تقوم على سفح جبل الى الشرق بين بلنسية وقرطبة بينها وبين البحر المتوسط عشرون ميلا ، وهي مدينة منيعة يحيط بها سور من الصخر بناه بنو اميه وللسور اربعة ابواب من حديد وفيها دار صناعة السفن فضلا عن كونها مدينة تجارية ، ينظر ، الحموي ،شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م ، معجم البلدان ،تحقيق : محمد امين الخانجي ، ط١ (بيروت – دار صادر ١٤١٢هـ/ ١٩٩٣م) ج٣، ص٢٧٩

(٢) يلقب الطرطوشي ابن ابي رندقة بالفتح والضم يقول ابن فرحون :" رندقة براء مضمومه مهمله وسكون ودال مهمله وقالف مفتوحة " اما ابن خلكان يقول :" رندقة بفتح الراء وسكون النون وفتح الدال والقاف وهي لفظة افرنجية سألت بعض الفرنج عنها فقال : ردالي أي رد تعال " ابن فرحون ، ابراهيم بن علي بن محمد بن برهان الدين ت ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م ، الديباج المذهب في معرفة علماء اعيان المذهب ، تحقيق : محمد الاحمدي ابو النور ، ط١ (مصر – مكتبة الثقافة الدينية د.ت) / مج١ ، ص٢٧٦ . ابن

خلكان ، ابي العباس شمس الدين احمد بن محمد ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م ، وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط١ (مصر – مطبعة السعادة ١٣٩٧هـ/ ١٩٤٨م) ج٣ ، ص ٣٩٣ .

(٣) الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م ، سير اعلام النبلاء ، تحقيق : علي البجاوي ، ط٢(القاهرة – مطبعة عيسى البابي الحلبي د.ت) ، ج٨ ، ص٤٩٢ .

(٤) ابن حزم ، ابو محمد علي بن احمد بن سعيد ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م ، جمهرة انساب العرب ، ط١ (بيروت – دار الكتب العلمية ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) ، ص١٢٠ .

(٥) سرقسطة : بفتح اوله وثانية ثم قاف مضمومه وسين ساكنة وطاء مهمله ، وهي قاعدة من قواعد الاندلس كبيرة القطر آهله بالسكان واسعة الشوارع حسنة الشوارع متصلة الجنان والبساتين ولها سور من الحجارة ، وسميت بذلك لكثرة جصها وجيارها ويقال اسمها مشتق من قيصر اغسطة وانه هو الذي بناها ، ينظر ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢، ٢١٣ .ينظر كذلك ، ابن الابار ، محمد بن عبد الله بن ابي بكر القضاعي ت٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م،الحله السيراء ، تحقيق : حسين مؤنس ، ط٢(مصر –دارالمعراف ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) ،ج٢،ص٢٤٧وص٢٤٩ .

(٦) ابن خلدون ، ابو زيد عبد الرحمن بن محمد ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م ، تاريخ ابن خلدون ، ط٤ (بيروت – دار احياء التراث العربي د.ت) ، ج٤ ، ص١١٩ . كذلك ، الزبيدي ، محب الدين محمد مرتضى الواسطي ت ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م ، تاج العروس ، ط١(القاهرة – المطبعة الخيرية ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٨م) ، ج٣ ، ص٤٧٣.

(٧) ابو الوليد الباجي : هو سليمان بن خلف بن سعد عالم وشيخ مدينة سرقسطة وقاضيها انتهت اليه رئاسة العلوم الفقهية بعد وفاة ابن حزم وكانت تشد اليه رحال طلبة العلم توفي سنة ٤٧٤هـ/١٠٨١م ، ينظر ، الذهبي ، سير اعلام ، ج٨ ، ص٥٥٢ ، كذلك التنبكتي ، احمد بابا ت ٨١٠هـ/ ١٤٠٧ م ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، ط١ (القاهرة – ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م) ، ص١٢٥ .

(٨) الطرطوشي ، ابو بكر محمد بن الوليد بن محمد ت٥٢٠هـ/ ١١٢٦م ، سراج الملوك والخلفاء ومنهاج الولاة والامراء ، تحقيق : عبد الحميد حمدان ، ط١ (القاهرة – عالم الكتب ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) ،ص٥١١ .

(٩) ينظر ، ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ص١٢٠ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٣ ، ص٣٩٣-٣٩٤.

(١٠) ابن بشكوال ،ابو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن راحة الأنصاري ت٥٧٨هـ/١١٨٢م ، الصلة في تاريخ ائمة الأندلس ، تحقيق : ابراهيم الأبياري ، ط١ (بيروت – دار الكتاب اللبناني١٤١٠هـ/١٩٨٩م) ، ص٣٧١وص٣٧٣ .

(١١) ابو عبد الله الحميري ،محمد بن ابي نصر بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الازدي ت ٤٨٨هـ/١٠٩٥م ، من فقهاء الظاهرية تلميذ ابن حزم الأندلسي وصف بالورع والزهد وكان حسن قرائة الحديث من اهم كتبه (جذوة المقتبس)، الذهبي ، سير اعلام ، ج٩ ، ص٥٠١ .

(١٢) ابو بكر الشاشي : محمد بن احمد بن الحسين بن عمر القفال الفارقي الملقب بفجر الاسلام ت ٥٠٧هـ/١١١٤م ، كان عالما باحوال اللغة والحديث والتفسير ، ينظر ، السمعاني ،عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي المروزي ت ٥٦٢هـ/١١٦٦م ، الانساب ، تحقيق : عبد الرحمن بن يحيى المعلمي ، (حيدر اباد ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م) ،ص ٦٠٣ .

(١٣) ابو علي التستري : علي بن احمد بن علي بن ابراهيم التستري البصري السقطي ت ٤٧٩هـ/١٠٨٦م ، كان شيخا في الفقه والادب والمنطق والكلام ، الذهبي ، سير اعلام النبلاء، ج ٨، ص٤٨٢ .

(١٤) ابي عبد الله الدامغاني : قاضي القضاة ابي عبد الله محمد بن علي بن محمد بن حسن بن عبد الوهاب بن حسوية الحنفي ت ٤٧٨هـ/١٠٨٥م ، درس في بغداد واخذ الفقه في خراسان وكان حسن المعاني في الدين والعلم والعقل وكان يورد في درسة الطرفه والنوادر ، ينظر ، ابن كثير ، ابو الفدا اسماعيل بن كثير بن عمر ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م ، البداية والنهاية ، تحقيق : محمد علي عوض ، ط٢ (بيروت –دار الكتب ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) ج٣ ، ص١٢٩ .كذلك ، الاعظمي ،وليد ، اعيان الزمان وجيران النعمان في مقبرة الخيزران ، ط١ (بغداد -١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) ص٤٧وص٤٨ .

(١٥) ابي محمد رزق الله الحنبلي : هو ابن الامام ابي الفرج عبد الوهاب بن عبد العزيز بن الحارث بن اسد بن الليث بن سليمان بن الاسود بن اكينه وهو رئيس الحنابله درس علوم القران والفقه والحديث والفرائض واللغة له كتاب شرح الارشاد في الفقه والخصال توفي سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م ، راجع ، الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج٨ ، ص٤٩٠ .

(١٦) ابي العباس احمد الجرجاني :هو احمد بن اسحق بن جعفر بن احمد بن جعفر بن محمد بن هارون تفقه على يد ابي بشر احمد بن محمد الهروي وكان من قضاة البصرة

وعلماؤها توفي سنة ٤٨٢هـ/١٠٨٩م ، له كتاب اشارات البلغاء وكتاب التحرير من الفروع ،لمزيد من الاطلاع ينظر ، السلمي ،ابو عبد الرحمن محمد بن الحسين ت ٤٨٥هـ/١٠٩٢م ،طبقات الصوفية ، تحقيق : مصطفى عطا ، ط٢ (بيروت ـدار الكتب العلمية ١٤١٥هـ/١٩٩٤م) ، ج١،ص٢٠٣ .

(١٧) ابن الصباغ ، ابو عبد الله محمد بن احمد بن الصباغ الجذامي وهو من اهل التصوف والعبادة وصفه ابن خلكان بالتقوى والورع توفي سنة ٤٧٧هـ/١٠٨٤م ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج٣ ، ٣٩٩، السمعاني ، الانساب ،ج٤، ص٤١١ .

(١٨) ابو سعيد المتولي : عبد الرحمن بن محمد ت ٤٧٨هـ/١٠٨٥م ، احد اصحاب الوجوه في المذهب الشافعي له كتاب تتمة الاديان ، للاطلاع اكثر ، السبكي ، تقي الدين علي بن عبد الكافي ت٧٧١هـ/١٣٩٦م ، طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق : محمود محمد الطناجي و عبد الفتاح الحلو ، (مصر – دار الهجرة للطباعة ١٤١٣هـ/١٩٩٢م) ج٣،ص٢٥ .

(١٩) ابي نصر الزينبي : محمد بن محمد بن علي بن ابي تمام الهاشمي العباسي البغدادي وصفة السمعاني بالزهد والتعبد وانه هجر الدنيا من حداثة سنة ت ٤٧٩هـ/١٠٨٦م ، السمعاني ، الانساب،ج٤، ص٤٢٨ .

(٢٠) ابو سعد الزوزني ، ابو عبد الله الحسين بن احمد بن الحسين عالم اللغة والادب المشهور بالزوزني نسبة الى بلدته زوزن بين هراة ونيسابور توفي سنة ٤٦٨ هـ/١٠٧٥م ، السمعاني ، الانساب،ج٣ ، ص٤٥١ ، الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج٧ ، ص٢٤٨ .

(٢١) ينظر ، المقري ، احمد بم محمد التلمساني ت ١٠٤١هـ/١٦٣١م ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق : احسان عباس ، (بيروت – دار صادر ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م) ج٢ ، ص٩٠ .

(٢٢) سند ين عنان : بن ابراهيم بن حريز بن الحسين بن خلف الازدي ت ٥٤١هـ/١١٤٦م ، وكان من انبغ تلاميذ الطرطوشي واقربهم اليه وقد سمع منه ولازم حلقته سنين طويلة كما انه اقتبس من استاذه فلسفة الزهد ، ابن فرحون ، الديباج المذهب ، مج١ ، ص٢٧٧ .

(٢٣) ابو طاهر المكي : اسماعيل بن مكي بن اسماعيل بن عيسى بن عوف الزهري توفي ٥٨١هـ/١١٨٥م تفقه على يد الطرطوشي وسمع منه وكان من علماء مدينة الاسكندرية ومشايخ الاسلام فيها وقد عاصر حكم صلاح الدين الايوبي وتذكر الاخبار انه كان من مدرسي مدرسة ثغر الاسكندرية في العهد الايوبي ، السيوطي ، جلال الدين بن عبد

الرحمن ت٩١١هـ/ ١٥٠٥ م ، حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة ، ط١ (مصر ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م)ج١ ، ص١٩٢ .

(٢٤) ابو بكر العربي : محمد بن عبد الله بن محمد العربي المعافري ت ٥٤٣هـ/١١٤٨م ، كان ممن حضر دروس ابي حامد الغزالي وتتلمذ على يد ابي بكر الطرطوشي في بيت المقدس وكان ممن جمع العلم وناظر فيه اقرانه ، ينظر ، ابن بشكوال ، الصله ، ص٣٧٩ ، السيوطي ، جلال الدين بن عبد الرحمن ت٩١١هـ/١٥٠٥م ، طبقات الحفاظ ، تحقيق : عمرو عبد الحي ، ط٢ (القاهره ١٣٩٧/١٩٧٧م) ، ص٢٦٤ .

(٢٥) المهدي بن تومرت : ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت المصمودي البربري ت ٥٢٤هـ/ ١١٢٩م ، ينتمي الى قبيلة هرثمة وهي من قبائل جبل سوس بالمغرب الاقصى وكان ممن حضر دروس ابي حامد الغزالي في الشرق ودرس في المدرسة النظامية في بغداد وتتلمذ على يد الطرطوشي في مصر ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج٣، ص٤٠٩ ، ابن خلدون ، تاريخ ، ج٤، ص١٧١ .

(٢٦) الوزير ابو عبد الله المامون البطائحي وزير الديار الفاطمية بعد الافضل شاهنشاه بن بدر الدين الجمالي في خلافة ابو القاسم احمد بن المستنصر بالله الفاطمي ، المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م،المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ، ط١ (القاهرة ١٣٢٨هـ/١٩١٠م)،ج٢،ص٥٠١

(٢٧) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٤٨٠ وص٤٩٤ .

(٢٨) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٥٠٢ .

(٢٩) راجع ، ابن فرحون ، الديباج المذهب ، مج١ ، ص٢٨١ .

(٣٠) المصدر نفسه ، مج١ ، ٢٧٧ وص٢٧٩ ، كذلك ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج٣ ، ٣٩٨، التنبكتي ، نيل الابتهاج ، ص١٢٥ ، المقري ، نفح الطيب ، ج٢ ، ص١١٣ .

(٣١) المقري ، نفح الطيب ، ج٢ ، ص١٣٧ ، حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله الكاتب الجلبي القسطنطيني ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م ، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، نشرة فلوجل (القاهرة ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م) ،ج٢ ، ص٥٠١ .

(٣٢) الطرطوشي ، سراج الملوك ، ص١٢٢ .

(٣٣) المصدر نفسه ، ص٣٤٠ ، كذلك ، حاجي خليفة ، كشف الظنون،ج٢، ٣٣٥.

(٣٤) الطرطوشي ، سراج الملوك ، ص ٣ وص٥ .

(٣٥) ابن فرحون ، الديباج المذهب ، مج١، ص٣٠١ ، ابن خلكان ، ج٣ ، ص٤١٩ .

(٣٦) ابن فرحون ، الديباج المذهب ، مج١، ص٣٣٤، الشيال ، جمال الدين ،تاريخ مصر الاسلامية ، ط٢ (الاسكندرية ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م) ، ص ٩٧-٩٨ .

(٣٧) ينظر ، المالكي : ابو بكر عبد الله بن ابي عبد الله ت ٦٠٠هـ/١٢٠٣م ، رياض النفوس ، تحقيق : حسين مؤنس ، (القاهرة ١٣٧١هـ/١٩٥١م) ، ج٢، ص١٢٩ .

(٣٨) الطرطوشي ، سراج الملوك ، ص ٩٨ ، ابن فرحون ، الديباج المذهب ، مج١ ، ص٢٨٧ ، المالكي ، رياض النفوس ، ج٢، ص١٣٣ .

(٣٩) بني هود : سلالة عربية من ملوك الطوائف في الاندلس حكموا سرقسطو مابين ٤٣١-٥٠٤هـ/١٠٣٩-١١١٠م، نسبهم يعود الى هود عبد الله بن موسى بن سالم الجذامي ، للاطلاع اكثر ينظر ،القلقشندي ، ابو العباس احمد بن علي ت ٨٢١هـ/١٤١٨م، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، تحقيق : ابراهيم الابياري ، ط٢(مصر – دار الكتاب المصري ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) ،ص٥٢١ .

(٤٠) ابن فرحون، الديباج المذهب ، مج١ ، ص٢٧٦-٢٧٧ ، ابن بشكوال ، الصلة ،ص٣٨٠.

(٤١) راجع ، المقري ، نفح الطيب ، ج٢ ، ص٩٠-٩١ .

(٤٢) الطرطوشي ، سراج الملوك ، ص٤٨٧-٤٨٨ .

(٤٣) الصدفي : ابو علي الحسين بن محمد بن فرو ت ٥٢٣هـ/١١٢٨م، شغل منصب القضاء في الحجاز وكان فقيها عالما في اصول الدين والشرع ، ينظر ، الذهبي ، سير اعلام ، ج٧،ص٣٠١ .

(٤٤) الضبي ، ابو جعفر احمد بن يحيى بن احمد بن عميرة القرطبي ت ٥٩٩هـ/١٢٠٢م ، بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس ، تحقيق : ابراهيم الابياري ، ط١ (القاهرة ١٤١٢هـ/ ١٩٨٩) ، ص١٣٨-١٣٩ .

(٤٥) نظام الملك :اشهر وزراء السلاجقة في عهد الب ارسلان وابنه ملكشاه حكم للفترة ٤٠٩-٤٨٥هـ/١٠١٨-١٠٩٢م ، كان شديد الاهتمام بالحركة العلمية فانشأ المدرسة النظامية في بغداد واخرى في نيسابور سنة ٤٥٨هـ/١٠٦٥م ، الطرطوشي ، سراج الملوك ، ص٣٧٩ ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٣٣٠ ، معلوف ، لويس ، المنجد في الاعلام ، ط٢ (قم المقدسة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م) ، ص٥٧٤.

(٤٦) الطرطوشي ، سراج الملوك ، ص٣٨٠ .

(٤٧) ينظر ،ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج٣،ص٤١٣ ، كذلك الحميري ، ابو عبد الله محمد بن ابي بكر بن المنعم ت ٩٠٠هـ/١٤٩٤م ، صفة جزيرة الاندلس (عن كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار) ، تحقيق : ليفي بروفنسال، ط١ (القاهرة – الدار الوطنية للنشر ١٣٧١هـ/١٩٥١م) ، ٤٠١ .

(٤٨) ابن فرحون ، الديباج المذهب ، مج١ ، ص٢٧٩ ، الحميري ، صفة جزيرة الاندلس، ص٣٩١-٣٩٢

(٤٩) الضبي، بغية الملتمس ، ص١٤١ .

(٥٠) انطاكية: تقع على نهر العاصي قرب مصبة وهي من المدن الكبرى في العالم القديم وكانت عاصمة للسلوقيين في القرن الثالث ق.م ،ازدهرت فيها فنون الادب والرسم وتعرضت للتخريب على يد الفرس سنة ٥٤٠م ومن اشهر معالمها مقام يوحنا ، راجع ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،ج٢ ، ص٣١٧ ،معلوف ، لويس ، المنجد، ص ٧٦-٧٧ .

(٥١) الطرطوشي ، سراج الملوك ، ص٣٨٩وص٣٩٠ .

(٥٢) المصدر نفسه ، ص٣٩٤ ، كذلك ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ج٢، ص٣١٨ .

(٥٣) الضبي ، بغية الملتمس ، ص٢٢١-٢٢٢ ، ابن فرحون ، الديباج المذهب ، مج١ ، ص٣٧٩ ، الطرطوشي ، سراج الملوك ، ص٣٩٣ .

(٥٤) ابن فرحون ، الديباج المذهب / مج١ ، ص٣٨١ .

(٥٥) المصدر نفسه ، مج١ ، ص٣٩٦ ، كذلك ، عنان ، محمد عبد الله ، تراجم شرقية واندلسية ، ط١ (القاهرة – مكتبة الخانجي ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م) ، ص٣٧ .

(٥٦) الضبي ، بغية الملتمس ، ص٢٤-٢٥٠ .

(٥٧) المقريزي ، المواعظ والاعتبار ، ج٢ ، ص٥١٢وص٥٣١ ، كذلك السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج١ ، ص ١٩٢ وص١٩٨-١٩٩ .

(٥٨) الطرطوشي ، سراج الملوك ، ص ٤٨٩ ، الضبي ، بغية الملتمس ، ص١٣٩ .

(٥٩) الطرطوشي ، سراج الملوك ، ص ٣٧٩ ، ابن فرحون ، الديباج المذهب ، مج١ ، ٢٨١ .

(٦٠) الضبي ، بغية الملتمس ، ص ١٤١ .

(٦١) ابن فرحون ، الديباج المذهب ، مج ١ ، ص٢٧٩

(٦٢) الطرطوشي ، سراج الملوك ، ص٣٩٣ .

(٦٣) ابن فرحون ، الديباج المذهب ، مج١ ، ص٢٧٨-٢٧٩ ، كذلك ، عنان ، محمد عبد الله ، تراجم ، ص ٣٧-٣٨ .

(٦٤) ابن مخلوف ، محمد بن محمد بن عمر بن علي التونسي المالكي ت ١٣١٩هـ/١٩٠١ م ، شجرة النور الزكية في طبقات علماء المالكية ، ط١ (بيروت – دار العلم للملايين ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م) ، ص ١٢٨ وص١٤٢ .

(٦٥) ينظر ، ابن بشكوال ، الصلة ، ص٣٨١ ، المالكي ، رياض النفوس ، ص٩٨ ، الذهبي ، سير اعلام ، ج٩ ، ص٥٠١وص٥٠٣ .

(٦٦) ابن فرحون ، الديباج المذهب ، مج١ ، ص٢٧٦-٢٧٧ ، الحميري ، صفة جزيرة الاندلس ، ص٣٩٢ ، السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج١ ، ص٢٤١-٢٤٢ .

(٦٧) الطرطوشي ، سراج الملوك ، ص١٢٣-١٢٤ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١، ص٣٦٩ .

(٦٨) الطرطوشي ، سراج الملوك ، ص١٦١ .

(٦٩) المصدر نفسه ، ص ١٦٩ -١٧٠ .

(٧٠) المصدر نفسه ، ص ١٧٣ .

(٧١) سورة الروم ، الايه ١٨-١٩ .

(٧٢) الطرطوشي ، سراج الملوك ، ص١٦٧ .

(٧٣) راجع الضبي ، بغية الملتمس ، ص١٤٢ ، ابن فرحون ، الديباج المذهب ، مج١ ، ص٣٨٢ ، عنان ، محمد عبد الله ، تراجم ، ص٣٨ .

(٧٤) الطرطوشي ، سراج الملوك ، ص٢-٣ وص١٤ .

(٧٥) المصدر نفسه ، ص٨٨ .

(٧٦) المصدر نفسه ، ص٩٦-٩٧ .

(٧٧) المصدر نفسه ، ص١٠ ، وللمقارنة في موضوع اقامة الدول يرجى مطالعة الجابري ، محمد عابد ، العصبية والدولة في فكر ابن خلدون ، ط١ (بغداد – د.ت) ص١١٩ وص٢٠٠ وص٢٠٥ .

(٧٨) الطرطوشي ، سراج الملوك ، ص١٢٦-١٢٧ .

(٧٩) المصدر نفسه ، ص١٣٠ .

(٨٠) المصدر نفسه ، ص١٠٧ ، للاطلاع ايضا يمكن مراجعة ، الجابري ، علي حسين ، فلسفة التاريخ في الفكر العربي (جدلية الاصالة والمعاصرة) ط١ (بغداد -١٤١٤هـ/١٩٩٣ م) ،ص١٤٧-١٤٩ .

(٨١) الطرطوشي ، سراج الملوك ، ص٣١٠وص٣٨٤، كذلك ، الجابري ، علي حسين ، فلسفة التاريخ ، ص١٤٩ .

(٨٢) ينظر ، الطرطوشي ، سراج الملوك ، صص٣٩٣ ، ابن فرحون ، الديباج المذهب ، مج١ ، ص٢٧٨ .

(٨٣) الطرطوشي ، سراج الملوك ، ص٣ وص٥ وص١٠٠ .

(٨٤) المصدر نفسه ، ص١١٤ وص١٥١ وص٢٠٣ ، كذلك يرجى مطالعة ، ابن الحاج العيدروسي ، ابو عبد الله محمد بن محمد ١٠١٩هـ/١٦١٠م، تنمية الاعمال بتحسين النيات والتنبيه على البدع والعوائد التي انتحلت وبيان شناعتها وقيمها ، تحقيق : جلال الدين الفضلي ، ط١ (الاسكندرية ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م) ، ج١ ، ص١٢٥ .

(٨٥) الطرطوشي ، سراج الملوك ، ص١٢ .

(٨٦) يرجى مطالعة ، الشقوري ، بشرى ، قراءة في سراج الملوك للفقيه الطرطوشي ، ط١ (دمشق –دار الفكر ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) ، ص٦١ وص٧٠ .

(٨٧) الطرطوشي ، سراج الملوك ، المقدمة .

(٨٨) المصدر نفسه ، ص١٤ ، كذلك ، الصغير ، عبد المجيد ، الفكر الأصولي وإشكالية السلطة العلمية في الاسلام (قراءة في نشأة علم الاصول ومقاصد الشريعة) ، ط١ (بيروت – دار المنتخب العربي ١٤١٥هـ/١٩٩٤م) ، ص٩٨-٩٩ .

(٨٩) الطرطوشي ، سراج الملوك ، ص١٥ ، الصغير ، عبد المجيد، الفكر الأصولي ، ص١٠١ .

(٩٠) الطرطوشي ، سراج الملوك ، ص١٨ وص٢١، ينظر ماشار اليه ابن خلدون في مقدمته :" الفوضى مفسده ومهلكة للعمران .." ابن خلدون ، المقدمة ، ص٤٧١.

(٩١) الطرطوشي ، سراج الملوك ، ص١٥٣ .

(٩٢) المصدر نفسه ، ص١٦٩ ، كذلك ، قانصو ، وجيه ، تكّون الفكرة السياسية في الإسلام ، طذ١ (بيروت –دار الجيل ١٤١٠هـ/١٩٩٠م) ، ص٣١-٣٣ .

(٩٣) الطرطوشي ، سراج الملوك، ص١٧٠ وص٢١٤وص٣٤٤ ، كذلك ، ينظر النصار، علي اسماعيل ، الوعي التاريخي لفكرة الدولة في التاريخ الإسلامي ، ط١ (مصر ١٤١٨هـ/١٩٩٨م) ، ص٥٤ .

قائمة المصادر و المراجع

(١) ابن ، الآبار ، محمد بن عبد الله بن ابي بكر القضاعي ت٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م،الحله السيراء ، تحقيق : حسين مؤنس ، ط٢(مصر –دار المعارف ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) .

(٢) ابن بشكوال ،ابو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن راحة الأنصاري ت٥٧٨هـ/١١٨٢م ، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس ، تحقيق : ابراهيم الابياري ، ط١ (بيروت – دار الكتاب اللبناني١٤١٠هـ/١٩٨٩م).

(٣) التنبكتي ، احمد بابا ت ٨١٠هـ/ ١٤٠٧ م ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، ط١ (القاهرة – ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م).

(٤) حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله الكاتب الجلبي القسطنطيني ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م ، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، نشرة فلوجل (القاهرة ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م).

(٥) ابن حزم ، ابو محمد علي بن احمد بن سعيد ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م ، جمهرة انساب العرب ، ط١ (بيروت – دار الكتب العلمية ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) .

(٦) الحميري ، ابو عبد الله محمد بن ابي بكر بن المنعم ت ٩٠٠هـ/١٤٩٤م ، صفة جزيرة الأندلس (عن كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار) ، تحقيق : ليفي بروفنسال، ط١ (القاهرة – الدار الوطنية للنشر ١٣٧١هـ/١٩٥١م).

(٧) ابن خلدون ، ابو زيد عبد الرحمن بن محمد ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م ، تاريخ ابن خلدون ، ط٤ (بيروت – دار احياء التراث العربي د.ت).

(٨) ابن خلكان ، ابي العباس شمس الدين احمد بن محمد ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م ، وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط١ (مصر – مطبعة السعادة ١٣٩٧هـ/ ١٩٤٨م).

(٩) الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م ، سير اعلام النبلاء ، تحقيق : علي البجاوي ، ط٢(القاهرة – مطبعة عيسى البابي الحلبي د.ت).

(١٠) الزبيدي ، محب الدين محمد مرتضى الواسطي ت ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م ، تاج العروس ، ط١(القاهرة – المطبعة الخيرية ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٨م).

(١١) السبكي ، تقي الدين علي بن عبد الكافي ت٧٧١هـ/١٣٩٦م ، طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق : محمود محمد الطناجي و عبد الفتاح الحلو ، (مصر – دار الهجرة للطباعة ١٤١٣هـ/١٩٩٢م).

(١٢) السلمي ،ابو عبد الرحمن محمد بن الحسين ت ٤٨٥هـ/١٠٩٢م ،طبقات الصوفية ، تحقيق : مصطفى عطا ، ط٢ (بيروت ـدار الكتب العلمية ١٤١٥هـ/١٩٩٤م).

(١٣) السمعاني ،عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي المروزي ت ٥٦٢هـ/١١٦٦م ، الانساب ، تحقيق : عبد الرحمن بن يحيى المعلمي ، (حيدر اباد ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م) .

(١٤) السيوطي ، جلال الدين بن عبد الرحمن ت٩١١هـ/ ١٥٠٥ م ، حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة ، ط١ (مصر ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م) .

(١٥) السيوطي ، جلال الدين بن عبد الرحمن ت٩١١هـ/١٥٠٥م ، طبقات الحفاظ ، تحقيق : عمرو عبد الحي ، ط٢ (القاهره ١٣٩٧/١٩٧٧م) .

(١٦) الضبي ، ابو جعفر احمد بن يحيى بن احمد بن عميرة القرطبي ت ٥٩٩هـ/١٢٠٢م ، بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس ، تحقيق : ابراهيم الابياري ، ط١ (القاهرة ١٤١٢هـ/ ١٩٨٩) .

(١٧) الطرطوشي ، ابو بكر محمد بن الوليد بن محمد ت٥٢٠هـ/ ١١٢٦م ، سراج الملوك والخلفاء ومنهاج الولاة والامراء ، تحقيق : عبد الحميد حمدان ، ط١ (القاهرة – عالم الكتب ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).

(١٨) ابن الحاج العيدروسي ، ابو عبد الله محمد بن محمد ١٠١٩هـ/١٦١٠م، تنمية الاعمال بتحسين النيات والتنبيه على البدع والعوائد التي انتحلت وبيان شناعتها وقيمها ، تحقيق : جلال الدين الفضلي ، ط١ (الاسكندرية ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م) .

(١٩) ابن فرحون ، ابراهيم بن علي بن محمد بن برهان الدين ت ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م ، الديباج المذهب في معرفة علماء اعيان المذهب ، تحقيق : محمد الاحمدي ابو النور ، ط١ (مصر – مكتبة الثقافة الدينية د.ت).

(٢٠) القلقشندي ، ابو العباس احمد بن علي ت ٨٢١هـ/١٤١٨م، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، تحقيق : ابراهيم الابياري ، ط٢(مصر – دار الكتاب المصري ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).

(٢١) ابن كثير ، ابو الفدا اسماعيل بن كثير بن عمر ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م ، البداية والنهاية ، تحقيق : محمد علي عوض ، ط٢ (بيروت –دار الكتب ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

(٢٢) المالكي : ابو بكر عبد الله بن ابي عبد الله ت ٦٠٠هـ/١٢٠٣م ، رياض النفوس ، تحقيق : حسين مؤنس ، (القاهرة ١٣٧١هـ/١٩٥١م).

(٢٣) المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م،المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ، ط١ (القاهرة ١٣٢٨هـ/١٩١٠م) .

(٢٤) المقري ، احمد بم محمد التلمساني ت ١٠٤١هـ/١٦٣١م ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق : احسان عباس ، (بيروت – دار صادر ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م).

(٢٥) ياقوت الحموي ،شهاب الدين عبد الله الحموي الرومي ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م ، معجم البلدان ،تحقيق : محمد امين الخانجي ، ط١ (بيروت – دار صادر ١٤١٢هـ/ ١٩٩٣م).

فهرس المصادر الثانوية (المراجع)

(٢٦) الاعظمي ،وليد ، اعيان الزمان وجيران النعمان في مقبرة الخيزران ، ط١ (بغداد – ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) .

(٢٧) الجابري ، محمد عابد ، العصبية والدولة في فكر ابن خلدون ، ط١ (بغداد – د.ت) .

(٢٨) الجابري ، علي حسين ، فلسفة التاريخ في الفكر العربي (جدلية الاصالة والمعاصرة) ط١ (بغداد –١٤١٤هـ/١٩٩٣ م) .

(٢٩) الشقوري ، بشرى ، قراءة في سراج الملوك للفقيه الطرطوشي ، ط١ (دمشق –دار الفكر ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) .

(٣٠) ، الشيال ، جمال الدين ،تاريخ مصر الاسلامية ، ط٢ (الإسكندرية ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م) .

(٣١) ، الصغير ، عبد المجيد ، الفكر الاصولي واشكالية السلطة العلمية في الإسلام (قراءة في نشأة علم الاصول ومقاصد الشريعة) ، ط١ (بيروت – دار المنتخب العربي ١٤١٥هـ/١٩٩٤م).

(٣٢) عنان ، محمد عبد الله ، تراجم شرقية واندلسية ، ط١ (القاهرة – مكتبة الخانجي ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م) .

(٣٣) قانصو ، وجيه ، تكّون الفكرة السياسية في الإسلام ، طذ١ (بيروت –دار الجيل ١٤١٠هـ/١٩٩٠م) .

(٣٤) ابن مخلوف ، محمد بن محمد بن عمر بن علي التونسي المالكي ت ١٣١٩هـ/١٩٠١ م ، شجرة النور الزكية في طبقات علماء المالكية ، ط١ (بيروت – دار العلم للملايين ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).

(٣٥) معلوف ، لويس ، المنجد في الأعلام ، ط٢ (قم المقدسة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م) .

(٣٦) النصار، علي اسماعيل ، الوعي التاريخي لفكرة الدولة في التاريخ الإسلامي ، ط١ (مصر ١٤١٨هـ/١٩٩٨م) .